الخمسة، الغزّي والأشدودي والأشقلوني والجتي والعقروني والعوويين، من اليتمن كل أرض الكنعانيين ومغارة (أفقا بلبنان) التي للصيدونيين الى أفيق، الى تخم الاموريين. وأرض الجبليين (نسبة الى مدينة جبيل اللبنانية) وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد (مدينة على سفح جبل الشيخ، لعلها مدينة حاصبيا الحالية) تحت جبل حرمون الى مدخل حماة» (يشوع ١٣:١ ـ ٥)[٢٦].

وهناك مبالغة من قبل التوراة في دخول يشوع وجماعته فلسطين في أمرين: الاول، امتلاك الاراضي التي غزوها، ويظهر ذلك من نص يشوع آنف الذكر؛ والثاني في الأعداد التي دخلوا بها، والتي حدت ببعض المؤرخين الى القول انها لم تتجاوز المئتي ألف، كما رأى لوك[٢٧]؛ كما ان الموسوعة البريطانية تجعل هذا العدد شاملاً البدو العبريين الذين انضمّوا الى الاسرائيليين[٢٨] في غزو الكنعانيين الهادئين؛ كما ان هناك من ذهب الى ان هذا العدد شمل النساء والأولاد أيضاً[٢٩].

عصر القضاة

وبعد يشوع، تولّى الامر يهوذا السبط الرابع الذي بدأ به وبأخيه شمعون عهد القضاة. وقد دام هذا العهد حوالى مئة وستين سنة (١١٨٠ ـ ١٠٢٠ ق.م.). وتميّز هذا العهد بما يلي:

١ ـ الفوضى الشاملة: «في تلك الأيام لم يكن في اسرائيل قاض وقضاة. كان كل واحد يعمل ما يَحسُن في عينيه» (سفر القضاة ١٧:٦).

٢ ـ الانحلال الجنسي: «وكان يفتاح الجلعادي جبار بأس، وهو ابن امرأة زانية» (القضاة ١١:١١). ويفتاح هذا بطل «قومي» في تاريخ اسرائيل؛ وقصته مطوّلة في سفر القضاة؛ وكذلك قصة شمشون «البطل» والمرأة الزانية دليلة في الاصحاح السادس عشر من هذا السفر (القضاة). والاصحاح التاسع عشر أورد هذه الفوضى.

٣ ـ تقدمة القرابين البشرية من «بني اسرائيل» الى الاوثان على أيدي آبائهم. وتقدمة القرابين البشرية رواها، أيضاً، سفر المزامير: «وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان. وأهرقوا دماً زكياً دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان، وتدنّست الارض بالدماء وتنجّسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم» (سفر المزمور ١٠٦:٣٦ ـ ٣٩).

وفي أواخر هذا العهد حدثت أول معركة حربية حقيقية خاضها «بنو اسرائيل» راح ضحيتها أربعة آلاف[٣٠] اسرائيلي؛ وبعدها معركة أخرى قتل فيها ثلاثون ألفاً منهم على يد الفلسطينيين. ونتيجة هذه المعركة مات عالي كبير القضاة لوقع الهزيمة عليه: «فحارب الفلسطينيون وانكسر اسرائيل وهربوا كل واحد الى خيمته. وكانت الضربة عظيمة جداً. وسقط من اسرائيل ثلاثون ألف رجل. وأخذوا تابوت الله ومات ابنا عالي، حفني وفيخاس» (سفر صموئيل الاول ٤:١٠ ـ ١١).

وفي نهاية هذا العهد، جاء صموئيل وحاول ان يوحّد بني اسرائيل. ومرة أخرى نرى الخلط بين النسبي والمطلق في دعوة صموئيل الى توحيد «شعب اسرائيل»: «وحكم صموئيل كل بيت اسرائيل قائلاً: ان كنتم بكل قلوبكم راجعين الى الرب، فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من وسطكم، وأعدّوا قلوبكم للرب، واعبدوه وحده، فينقذكم من يد الفلسطينيين. فنزع بنو اسرائيل البعليم والعشتاروت وعبدوا الرب وحده» (صموئيل الاول ٧:٣ ـ ٤). ولكن هذه الدعوة لم تثمر هزيمة الفلسطينيين، الّا عندما تحالف «اسرائيل» مع الأموريين[٣١].